

مدينة بجاية عراقة وأصالة

The majestic original city of Bejaia

1- أمينة عبيد*، جامعة الجزائر 2 (الجزائر)

منخب البناء الحضاري للمغرب الأوسط (الجزائر)، جامعة الجزائر 02 (الجزائر)

Abidamina09@gmail.com

2- عائشة حنفي، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2 (الجزائر)

Aicha_mobil@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2023 /03/25 تاريخ القبول: 2023 /04/25 تاريخ النشر: 2023 /06/04

ملخص:

بجاية هي إحدى المدن الجزائرية التي لها تاريخ مزدهر غائر في أعماق التاريخ ، أقام بها الفينيقيون والرومان والبيزنطيون. عرفها المسلمون عندما أصبحت عاصمة الدولة الحمادية، التي تعد من أكثر الدول الإسلامية نفوذاً والتي هيمنت على شمال إفريقيا لفترة من الزمن. وتمتعت بسمعة وشهرة مستمدة من تلك المراكز الثقافية والمعمارية وتجارتها الشعبية وقوتها البحرية التي دافعت بها عن شواطئ المغرب الإسلامي ككل واستطاعت الحفاظ عليها. وكانت مقصداً للعلماء وطالبي المعرفة. كما أنجبت علماء ومفكرين ، ولم تضع تلك الشهرة وهذا الدور إلا عندما امتدت إليها أيدي المستعمرين.

سنحاول في هذا المقال إبراز أهمية هذه المدينة في التاريخ الجزائري من خلال بقاياها الأثرية ، وكيف استطاعت الصمود أمام كل العوائق عبر العصور والأزمنة المختلفة ، خاصة في العصر الحمادي ، حيث كانت يشع ضوءها .

كلمات مفتاحية: بجاية ، مدينة، الفترة الحمادية ، البقايا الأثرية .

*- المؤلف المرسل

Abstract:

Bejaia is one of the Algerian cities with a prosperous history steeped in the depths of history. Founded by the Phoenicians, Romans and Byzantines. Muslims knew it when it became the capital of the Hammadi state, which is one of the most influential Islamic countries that dominated North Africa for a period of time. It enjoyed a reputation and fame derived from those cultural and architectural centers, its popular trade, and its maritime power with which it defended the shores of the Islamic Maghreb as a whole and was able to preserve it, and this fame was lost when the hands of the colonialists extended to it, and in this article we will try to highlight the importance of this city in Algerian history through its archaeological remains And how was it able to withstand all obstacles across the ages and different times, especially during the era of Al-Hammadi when its light was radiating

Keywords: Bejaia, a city, the Hammadi period, archaeological remains.

● مقدمة

تشترك غالبية المدن الإسلامية بأنها مدن ذات مواقع برية، وهذا كون المسلمين قد استوعبوا واقع الامتداد والانتشار البري، وتحول ذلك إلى تقليد خلص بهم فكانت تلك المواقع بعيدة على البحر خوفا من الأعداء والذين يملكون أساطيل بحرية مثل الدولة البيزنطية في البحر المتوسط¹.

ومدينة بجاية من المدن المغرب الأوسط الكبرى المحصنة طبيعياً شهد لها الرحالة في نصوصهم التاريخية، وهي اسم خالد في ذاكرة أهلها وفي تاريخ شمال إفريقيا بشكل عام و الجزائر بشكل خاص، أقام فيها الفينيقيون والرومان والوندال والبيزنطيون خلال

¹ - طه خضير عبيد، المدينة الإسلامية: تاريخها تخطيطها وعوامل ازدهارها وانحطاطها، ط 1

2013.1، 1434. دار الفكر، عمان، الأردن، ص 39

عصور غائرة في أعماق الماضي. عرفها المسلمون و نالت شرف العاصمة الثانية للدولة الحمادية، حيث برزت كأهم دول البحر المتوسط التي سادت المغرب الإسلامي في جميع ميادين الحياة سياسيا واقتصاديا وعمرانيا ، فقد خضعت لشروط تأسيس المدن الإسلامية لهذا فقد كان للدين عاملا أساسيا في نشأتها. ازدادت أهمية العامل العسكري حيث كان اختيار الموضع و الموقع ذات الإمكانات الدفاعية كأن تكون في قمة الجبل، على سفح جبل محمي أو على ضفة نهر بموقع معين يسهل اختياره أو على خليج محمي، كما كان للمواقع تحف بالصحراء أهميتها في إيجاد المدن يضمن للعرب وجود ظهير صحراوي أمام الأعداء (القصور)¹.

حيث سورت المدينة بأسوار دفاعية ومدعمة بأبراج و عززت بالقلاع، فهذه الاستحكامات قد أثرت هي الأخرى على أنماط الشوارع في المدينة الإسلامية ، حيث أن لكل سور عدد معين من الأبواب تؤدي إلى الشوارع الرئيسية التي ترتبط بالعالم الخارجي.

و أشار الفكر الإسلامي إلى بعض النقاط الخاصة التي يجب اتخاذها لاختيار مواقع المدن الساحلية : أن تكون في جبل و بين أمة موفورة العدد ، و متى لم تكن كذلك طرقها العدو في أي وقتكما يذكر ابن خلدون و من يضرب مثلا في مدينة درقة و سلا في المغرب، و يشير كذلك ابن الأزرقي إلى أن المدينة الساحلية إذا كانت وعرة المسالك و حولها القبائل التي تساعد على الدفاع إذا ما تعرضت للهجوم كما في مدينة سبتة و بجاية² . و من خلال هذه اللمحة عن شروط اختيار موقع المدينة اتضح لنا أن تأسيس المدن الإسلامية ارتبط بظروف العصر الذي أنشأت فيه ، فمنها ما كان منشؤها داخلي و منها ما كان ساحلي كمدينة بجاية.

- القصور الصحراوية : و تعرف هذه القصور عادة بالواحات و قد تعرضت المصادر العربية القديمة¹ إلى ذكر هذه الواحات بأنها تمتد من بلاد مصر و الإسكندرية و صعيد مصر و المغرب و تسمية القصور لا تعني مسكن الأمير أو المسكن للملك كما هو معروف بل حياة المدينة

- إياد عاشور الطائي، تخطيط المدن في المغرب العربي، الطبعة الأولى، 2010، دار عجلة، الأردن،²

أما اليوم فلم يبق من بجاية الحمادية شيء باستثناء بعض الأبواب بأقواسها ذات الأبعاد المعمارية المتميزة، و بعض من السور المدعم بالأبراج المتناثر هنا وهناك، وتعتبر هذه الأطلال من بين التحصينات الدفاعية للمدينة وهي العمارة الأولى المستهدفة من طرف الأعداء لما تمثله من توفير الأمن والاستقرار للأهالي.

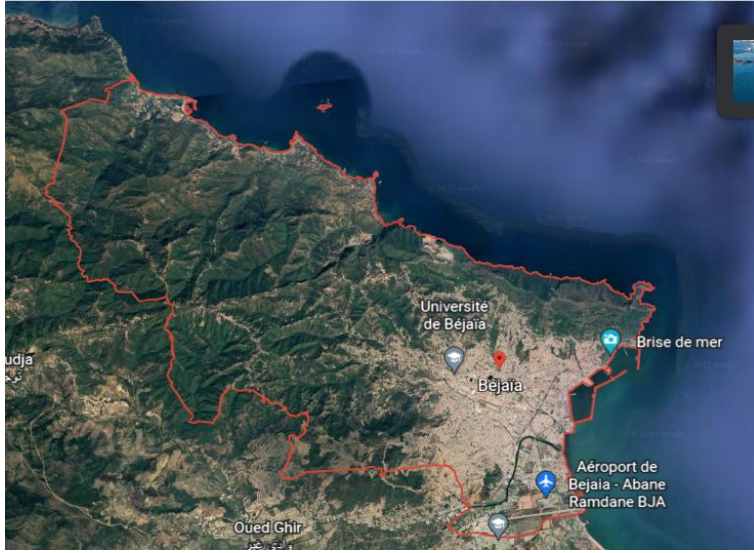
1. **موقع مدينة بجاية :** تقع على بعد 236 كلم شرق العاصمة بالمنحدرات السفلية لجبل قورايا، على خط طول 9° و 5° شرق غرينيتش، وخط عرض 49° و 36° شمال خط الاستواء ، وهي بذلك تحتل مكان وسط بين الجزائر العاصمة وقسنطينة . توجد بساحلها الشمالي الشرقي ثلاث رؤوس ساحلية هي : رأس بوحي في الوسط والمعروف في الخرائط الفرنسية ب le cap noir ، ورأس بواك في الجنوب le cap bouac و الرأس المثقوب في الشمال le cap carbon¹. حيث تقع على سفح جبل و جاء ذكره في المصادر التاريخية باسم "اميسون"²

يحدها من الجنوب هضبة وادي الصومام ،ومن الغرب جبل قورايا ب 672 م التابع للسلسلة الشرقية للأطلس التلي،و من أهم أودية بجاية واد الصومام حاليا ، أما عن مناخ المنطقة فهو معتدل³. (خريطة رقم 01)

-مجموعة من الباحثين : مساهمة الجزائر في الحضارة العربية الإسلامية ، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث ، منشورات المركز الوطني للدراسات ، ص 192

- أبو عبد الله بن محمد الإدريسي الشريف ، القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس - نزهة المشتاق في اختراق الآفاق - تحقيق وتعليق إسماعيل العربي ، الجزائر 1983 ، ص 160

- مساهمة الجزائر في الحضارة العربية الإسلامية، المرجع السابق ، ص 192³



خريطة رقم 01: موقع بجاية – google Earth

2. مدلول اسم بجاية :

اسم بجاية كان معروفا منذ أقدم العصور حيث كانت تعرف في العصر الروماني وما قبله باسم ¹ saldae ، وفي القديم كانت تحمل اسم وأغا auaga او باغا бага و يذكر حساني عن chaw بأنها شيدت على أنقاض المدينة الرومانية صلداي او عيسنوس صراد serad ، والكلمة تعني الحجر الصلد ولعل الاشتقاق معقول لان صداي كانت في العصور القديمة تدعى صيرديا ² serdia

هي حسب أقوال المؤرخ ابن خلدون نسبة إلى قبيلة بربرية كانت تقطن هذا المكان وتعرف باسم بجاية في اللغة العربية وتنطق (بجايث) بالبربرية .

¹ - gsell.(ST);Atlas Archéologique de l'Algérie ;Fn°7 .12.paris –Alger ;1902-1911

² - حسني مختار ، موسوعة تاريخ و ثقافة ، المدن الجزائرية، الجزء3 ، مدن الشرق ، دار الحكمة ، 2007 ، ص 185

أسست بجاية من طرف الدولة الحمادية في القرن 5هـ -11م على يد الناصر بن علناس¹، و أتى ذكرها في كثير من المصادر التاريخية حيث حملت اسم بانها الناصر و أصبحت تعرف بالناصرية².

3. بجاية عبر التاريخ : مرت بجاية بجميع الفترات التاريخية حيث تؤكد الشواهد

الأثرية أن تاريخ مدينة بجاية يرجع إلى عصور

1-3- ما قبل التاريخ، حيث تم العثور على بقايا عظمية من طرف الباحث "دوبروج" بمغارة علي باشا سنة 1904 التي أرخت بـ 20 ألف سنة أي العصر الحجري القديم المتوسط . بعدها يأتي العصر الحجري المتأخر، و ذلك في حدود 15 ألف سنة قبل الميلاد، حيث شاهدت المنطقة حضارة سميت بالحضارة الإبرومغربية المصحوب بالإنسان العاقل المدعو بالإنسان آفلو³.

2-3- الفترات القديمة : اتفق معظم المؤرخون على أن بجاية كانت مركزا فينيقيا هام إذ استعمل شريطها الساحلي كملجأ للبحارة الفينيقيين حيث أسست فيها قرطاجة مراكز تجارية هامة نظرا لموقعها الاستراتيجي الهام و كونها تملك ميناء كبير كقاعدة تجارية هامة

- الناصر بن علناس : ابن حماد بن بلكين بن زيري ، الصنهاجي ، البربري ، ملك المغرب هو الذي أنشأ¹ مدينة بجاية الناصرية (454-481هـ-1062-1088). انظر : سير أعلام النبلاء ، للإمام شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت747هـ-1374م) ج 18، ص 597.

² - Bougie, dans l'encyclopédie de l'Islam , tome I ;paris 1913 , pp 785-786

³Camps(G), Les civilisation préhistorique de L'Afrique du nord et du

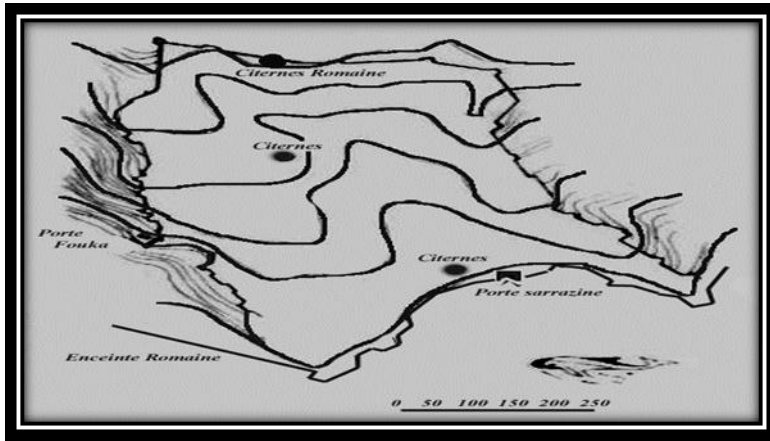
sahara ,Paris ,1974 ,p.59

*-إنسان افلو: يعتبر إنسان حديث له قرابة مع إنسان كروما نيون الذي عرف خلال العصر الحجري

القديم الأعلى .

و مركز عسكري ضخم¹. وبعد سقوط قرطاجة سنة 146 ق.م أصبحت بجاية مستعمرة رومانية أسسها الإمبراطور أغسطس سنة 33 ق.م على منحدر جبل قورايا (انظر الخريطة رقم2) ، حيث لقبت آنذاك باسم صلداي (SALDAE) كانت تابعة وتابعة و للمملكة الموريطانية القيصرية².

كما عرفت بجاية وجود الوندال ما بين (429 م -545 م) ، وتقول بعض الروايات إن ملكهم جنسيريك قد إختار بجاية عاصمة للوندال و قد استمر احتلالهم لإفريقيا وقتا طويلا يزيد عن القرن ، وبعد الوندال جاء النفوذ البيزنطي ما بين (545 م-644 م)³. أين سقطت بجاية على أيديهم ، حيث واجهوا عدة ثورات قامت بها المدينة ، و قد استمر حكمهم أكثر من قرن قبل أن يطردهم العرب⁴.



¹ Deberuge, Bulletin Archéologique de la société de Sousse, 1904, 2^{ème}, N°4, p170.

² Gsell.(ST);Atlas Archéologique de l'Algérie,feuille N°7 .T 2 , 2^{ème} Edition —Alger 1997,p12

³ Gaid (M) ;Histoire de Bejaia et de sa region depuis l'antiquite jusqu'à 1954, edition Mimouni Boumerdes ,1991,p51

⁴ علاوة عمارة ، التطور العمراني و التجاري لمدينة بجاية في العصر الإسلامي الوسيط ، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، العدد 26 ، سبتمبر 2008 ، ص 229 .

الخريطة رقم 2 : حدود مدينة بجاية في الفترة الرومانية.

3.3. بجاية في الفترة الإسلامية: لم يرد في المصادر التاريخية سنة دخول الإسلام إلى بجاية ،ولكن يعتقد انه محصور في الفترة بين حملة عقبة بن نافع سنة 50 هـ . 64 هـ ، و موسى بن نصير¹ .

إلا أن بجاية استطاعت أن تدخل التاريخ من بابه الواسع في الفترة الإسلامية ، أي في عهد الدولة الحمادية، حيث حكم بنو حماد المغرب الأوسط ما بين 408.547 هـ / 1018 - 1152م، أي ما يقرب من قرن ونصف القرن منذ أن اختط حماد بن بلكين بن زيري القلعة فأصبح هو مؤسس الدولة إلى سقوط الدولة بيد عبد المؤمن بن علي، الزعيم السياسي الأول لدولة الموحدين (398 . 547 هـ / 1007 . 1152م). لقد ضمت الدولة الحمادية خلال العصر الوسيط مجموعة من أشهر المدن الجزائرية و هي: الجزائر التي كانت تسمى قديما إيكوسيوم وقسنطينة وتاهرت ودلس وبسكرة، ومليانة، وبونة (عنابة)، وسطيف ، والمسيلة ، وتنس ، والقل ، ومتيجة و ورجلان ، بالإضافة إلى عواصم الدولة المتعاقبة و هي : أشير ، و القلعة ، و بجاية و هذه الأخيرة عرفت تطورا كبيرا في جميع المجالات².

4. تأسيس بجاية الحمادية :

تأسست بجاية جراء النتائج التي أفرزتها موقعة سببية التي هزم فيها الناصر بن علناس سنة 457 هـ -1064م على يد الزيريين، وتواطؤ القبائل العربية وخيانتته له كانت هي السبب في حمل الناصر على التفكير في بناء المدينة، ويضيف ابن الأثير إلى هذا السبب رأيه في أن بناء بجاية كان مرتبطا بقصة الصلح بين الناصر الحمادي و تميم بن المعز الصنهاجي بعد موقعة سببية و خيانة محمد ابن البعبع احد رجال تميم بن المعز تأمره مع الناصر بن

¹ حسني مختار ، المرجع السابق ، ص 192

² عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، إهداءات 2002، شركة

سوزلر للنشر، القاهرة، مكتبة الإسكندرية، ص 86.

علناس، وكان هذا الأخير قد ندم على تورطه في الحرب مع الزيريين فأثار الصلح معهم¹، و شاور في ذلك وزيره ابا بكر أبي الفتوح الذي كان يميل إلى هذا الرأي وثمة أراء أخرى يذهب أصحابها إلى ان بناء المدينة يرجع في الأساس إلى تخوف الناصر من غزوات الهلاليين، وهناك من الباحثين من أرجحه إلى الصدفة ذلك أن الناصر كان يمر في طريقه إلى القلعة فأعجبته قرية صغيرة لصنهاجة تسمى بجاية².

يعتقد الكثير من الدارسين أن تأسيس بجاية جاء كملجأ أخذه الحماديون هروبا من عبث بني هلال، أمثال (golvin) و (Debeily)³، غير أن هناك أسباب أخرى لتأسيسها، إذ يرى الأستاذ بورويبة ان السبب الرئيسي لإنشاء المدينة هو طموح الناصر بن علناس إلى فتح المدينة الذي يصعب عليهم في وقت مضى، و الدليل على ذلك ان القلعة بالمسيلة لم تكن مهددة من قبل الهلاليين في وقت الناصر بن علناس و المنصور، حيث بقيت كعاصمة ثانية للحماديين لان انحطاط القلعة بدأ في عهد العزيز بن المنصور⁴.

ونظرا لهذه الأهمية الكبيرة للمدينة، والازدهار الذي بلغته في عهد بني حماد، نجد أن بابا روما (كريكوar السابع)، كان يتوود للناصر، ويكتبه مكاتبات يلاطفه فيها ويوصيه خيرا برعاياه من النصارى وبعد قدوم الحملة الموحدية وعلى رأسها عبد المؤمن بن علي⁵

¹ عبد الحميد عويس، المرجع السابق، ص 99.

² صالح بن قرية، تاريخ مدينتي المسيلة و قلعة بنى حماد في العصر الإسلامي، منشورات الحضارة، ط 1 - 2009، ص 143

³ زينب لهم، المساجد الريفية بمنطقة بجاية، دراسة أثرية معمارية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في 14. الآثار الريفية و الصحراوية، 2010، 2011، ص.

⁴ رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، الجزائر، 1977، ص 68.

⁵ عبد المؤمن بن علي: هو عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان، أبو محمد الكومي، نسبته إلى كومية من قبائل الأمازيغ البربر). ولو أنه -أيضًا- كان ينسب نفسه إلى العرب من مضر وُلد في مدينة تاجرت بالمغرب قرب تلمسان، ونشأ فيها طالب علم، وأبوه صانع فخّار ويصف عبد الواحد المراكشي عبد المؤمن بن علي فيقول: وكان أبيض ذا جسمٍ عمم، تعلوه حمرة، شديد سواد الشعر، معتدل القامة، وضيء الوجه، جَهْوَرِيّ الصوت، فصيح الألفاظ، جَزَل المنطق،

سنة 546 هـ / 1152 م ، أصبحت بجاية تحت راية الموحدين إلى غاية القرن 13 م ، ولقد تعرضت المدينة أثناء هذه الفترة إلى احتلال بني غانية. ثم استعادها الموحدون بعد ذلك ، وعرفت المدينة أيضا في هذا العهد ازدهارا ورخاءً وتقدما تجاريا وعمرانيا¹ ، ومن أهم المباني الموحدية القصبة (1154-1160) التي كانت بمثابة حصنا منيعا محمية بأسوار عالية وسميكة ، بداخلها مسجد كان يدرس فيه ابن خلدون سنة 1365م أحكام القضاء ، وفيما بعد أصبحت القصبة حصنا اسبانيا .

حاول الحفصيون إعادة مجد الموحدين بمحاولة السيطرة على المناطق التي كانت خاضعة لها وفي هذا الإطار تحرك أول سلاطينها أبو زكريا 629هـ -1298 م ، نحو الغرب و استولى على قسنطينة و بجاية ، ولقد شكلتا إمارتان تابعتان للدولة الحفصية و تعتبران الخط الدفاعي الأول لها وقاعدتها للتوسع على حساب الدولة الزيانية و المرينية، وفي ظل الحكم الحفصي، تمكن أمراؤها عدة مرات من التحرر من سلطان تونس وجعلوا من بجاية عاصمة لولاية مستقلة، وتمكنوا من صد هجمات بني عبد الواد والمرينيين².

استمر ضوء بجاية يشع على أطراف المغرب و أوروبا حتى سنة 1510م ، حيث استولى عليها بيدرو نافارو **pedro de navaro** ، ودخلت بجاية تحت السيطرة الاسبانية الذين ألحقوا بها الدمار والخراب ، وحولت مباني حمادية بديعة إلى قلاع و حصون ، فحولت قصبة الموحدين إلى حصن، وحل "برج برال 3 (pril) أي برج موسى حاليا محل قصر الكوكب البديع ، لكن الإسبان لم يستقر لهم قرار طيله الأعوام الخمسة و الأربعين التي قضوها بها بحيث كانوا محاصرين برا و بحرا و بعد مقاومة بقيت بدون أمل ،

على :وكان محببًا إلى النفوس، لا يراه أحدٌ إلا أحبَّه بديهة؛ وبلغني أن ابن تومرت كان يُنشد كلما رآه محمد الصلابي ، صفحات من التاريخ الإسلامي (دولة الموحدين)

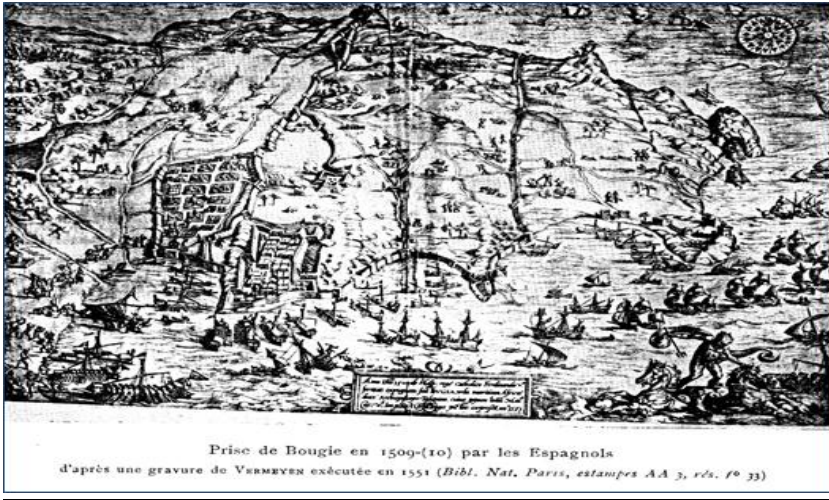
¹ عبد الكريم عزوق ، المعالم الأثرية الإسلامية في بجاية ونواحيها ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، معهد الآثار ، 2007-2008 ص 08 .

² حسني مختار ، المرجع السابق ، ص 199-200 .

اضطر القائد الاسباني "دون برالتا" (Don peralta) في يوم 27 سبتمبر 1555 م على الاستسلام لصالح باي ، باشا الجزائر فاسترجعت لكن مجردة من كل ماض مجدها وعزتها من قبل¹. خريطة رقم (انظر الخريطة رقم 2 و 03) و (صورة رقم 01) و (صورة رقم 2)



خريطة رقم 3 : بجاية في العهد الاسباني



صورة رقم 01 : لبجاية في 1510-1519 من طرف الاسبانيين

¹ عبد الكريم عزرق : المرجع السابق ، ص 08

عن الأستاذ عز الدين بويحياي - تطور العمران الإسلامي من خلال عواصم المغرب الأوسط



صورة رقم 02: بجاية في القرن 15م عن الاستاذ بويحياي عز الدين

4. بجاية من خلال المصادر:

نظرا للمكانة التي كانت تحتلها بجاية في عصرها ، وقف عدد من الرحالة و المؤرخون إما رأوها او سمعوا عنها فدونها وصفهم لها في ثنايا الكتب ومن أهم المؤرخون نذكر منهم

البكري: ت 487هـ "... ثم مرسى بجاية أزيله أهله عامرة بأهل الأندلس بشرقيها نهر كبير تدخله السفن محملة و هو مرسى مأمون ... مرسى بجاية هو ساحل قلعة أبي طويل...وجزيرة جربة قبل مرسى بجاية ثم يلي مرسى سبيبة"¹

الإدريسي : "مدينة بجاية على البحر، لكنها على جرف حجر، ولها من جهة الشمال جبل يسمى أمسيون، وهو جبل سامي العلو، صعب المرتقى...ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط، وعين بلاد بني حماد..."²

¹ أبو عبيد الله البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب جزء من المسالك و الممالك، ص 82

² ابو عبد الله محمد بن محمد الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ليدن 1864 ، ص ص. 90-91

ابن خلدون ت (808هـ): "فلما افتتح هذا الجبل، اختط به المدينة وسماها الناصرية، وتسمى عند الناس باسم القبيلة وهي بجاية، وبني بها قصر اللؤلؤة، وكان من أعجب قصور الدنيا وأسقط الخراج عن ساكنيها، وانتقل إليها سنة إحدى وستين، وفي أيام الناصر هذا كان استفحال ملكهم¹".

صاحب كتاب الاستبصار: "بجاية هي مدينة عظيمة على ضفة البحر، والبحر يضرب في سورها، وهي محدثة من بناء ملوك صنهاجة أصحاب قلعة أبي طويل وانتقل ملكهم من القلعة إلى بجاية...بينها وبين قلعة بني حماد مسيرة أربعة أيام... ولها داران لإنشاء السفن...وهي مرسى عظيمة تحط فيه سفن الروم...ومدينة بجاية كثيرة الفواكه والثمار، وجميع الخيرات...فيها قصور من بناء ملوك صنهاجة، لم ير الراؤون أحسن منها بناء ولا أنزه موضعا²".

العبدري: ت 720هـ: "إن مدينة بجاية مبدأ الاتفاق والنهاية، وهي مدينة كبيرة حصينة، منيعة شهيرة، برية بحرية، غريبة المعاني، موضوعة في أسفل جبل وعرة، مقطوعة بنهر وبحر، مشرفة عليهما إشراف الطليعة، متحصنة بهما، منيعة، فلا مطمع فيها لمحارب ولا متسع فيها لطاعن وضارب، ولها جامع عجيب منفرد في حسنه، من الجوامع المشورة، الموصوفة المذكورة، وهو مشرف على برها وبحرها، وموضوع سحرها ونحرها، فهو غاية في الفرجة والأنس، ينشرح الصدر لرؤيته، وترتاح النفس. وأهلها يواظبون على الصلاة فيه مواظبة رعاية...وهذا البلد بقية قواعد الإسلام، ومحل حلة من العلماء، والأعلام³".

عبد الرحمن ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، الجزء 6 ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت 2000 ،¹ ص 226.

صاحب كتاب الاستبصار، نقلا عن إسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 1984 ص. 321

محمد العبدري البلنسي ، الرحلة المغربية ، تقديم سعد بوفلاقة ، منشورات بونة للبحوث و³ الدراسات ، 2007 ، ص 49

من خلال هذه النصوص التاريخية نستنتج ان بجاية لها موقع ساحر تغنى به العديد من الرحالة فهو يتسم بالحصانة الطبيعية قبل ان تطأ عليه يد السكان الذين أبدعوا في بناء عمرانها حيث وصفت قصورها بعجائب الأرض كما أدى مينائها دورا بارزا في ازدهار المدينة وهذا يدل على ان مدينة بجاية لعبت دورا بارزا في ازدهار الحركة العلمية و العمرانية والاقتصادية وبالخصوص عندما كانت عاصمة الدولة الحمادية وإمارة بجاية الموحدية و الحفصية

5. عمران بجاية في العصر الإسلامي :

شرع الناصر بن علناس في بناء المدينة سنة 460هـ - 1067 م و اجتذب إليها عدد كبير من السكان وإن كان يعنى جميع السكان الجدد من الضرائب إلا انه فرض على كل من يدخل المدينة يجلب معه و يدفع قطعة من الذهب ليتمكنوا من بناء منازلهم . ولما تم من بنائها أطلق عليها اسم جديد وهو الناصرية إلا أن السكان تمسكوا بالاسم القديم بجاية ولعل ذلك تم بعد سقوط الدولة الحمادية على يد الموحدين مما ساعد على تعميمها بتلك السرعة و خاصة بعد رحيل السكان الأندلس إلى السواحل الجزائرية هروبا من تطاول أيدي النورماندين¹

تعطي النصوص التاريخية أوصافا رائعة عن عمران بجاية وعمارتها في العهد الحمادي و الموحدى و هذه العمائر بدأت تختفي تدريجيا في العهد الاسباني ثم العثماني و ما تبقى منها ذهب في العهد الفرنسي و حتى النسيج العمراني للمدينة اختفى و لم يبقى منه إلا أسامي الأحياء

قام بعض المسؤولين الفرنسيين بتدوين بعض المعالم التي وجدوها عام 1833م² و نذكر منها على سبيل المثال : باب البحر: ما زال قائما إلى يومنا هذا ويعود للعهد الحمادي. أقلميم: فوق باب البحر، بمحاذاة الفندق البلدي الحالي. مباني على قمة بريجة، هدمت

¹ حسني مختار، المرجع السابق ، ص 188

² Féraud, <<Notes sur Bougie>>, in Revue Africaine , volume 2, 1857, OPU, Alger, p 459- 465

وبنيت عليها ثكنات. سيدي أبي علي: يقع فوق المقبرة المسيحية، وهو ضريح رمزي ما زال قائما. حي أشرشور: ما يعرف قديما بحي خمسة عيون، هدم ولم يبق له أثر. القنيطرة: حول زاوية سيدي تواتي، هدمت ولا أثر لها. سيدي عبد الهادي: بالقرب من برج موسى. باب اللوز: هدم كلية ولم يبق له أثر. باب المرقوم: مقابل لجبل خليفة، هدم ولم يبق له أثر. عزيب بقشي: حي قديم هدم، ويقع بالقرب من الخزانات الرومانية. حي كرامان: بالقرب من الكنيسة الحالية. قاع الزنقة: وهو شارع (تريزيل Trezel)

و غيرها من أسامي الأحياء ، و يذكر كذلك انه كان بكل حي من هذه الأحياء مساجد و مصليات و زوايا تحمل أسماء شخصيات المدينة و الدينية ، نذكر منها الجامع الكبير الموجود بالقصبة الذي تحول إلى ثكنة عسكرية بالعهد الفرنسي و مخزن للأسلحة¹ صورة رقم 3



صورة رقم 03: المسجد الكبير بالقصبة

5.3. القصور و المساكن : لقد عرف عن الحماديين أنهم مولعون بالبناء، حيث شيدوا قصورا غاية في الروعة، مثل قصر اللؤلؤة، وقصر أميمون، وقصر الكوكب، الذي يعتبر من أجمل قصور بجاية، وقد وصفه صاحب كتاب الاستبصار الذي قال عنه " ... لم يرى

¹ Féraud ,opcit , volume 3 , 1858 ,p 45-51 .

الراؤون أحسن منها بناءا ولا أنزه موضعا فيها طاقات مشرفة على البحر عليها شبابيك و الأبواب المخرمة ... مبنية حيطانها بالرخام الأبيض من أعلاها إلى أسفلها..."¹

يصف لنا مرمول كرخال مدينة بجاية في بداية العهد الاسباني : " مدينة عظيمة كانت في عهد ازدهارها تحتوي على عشرين ألف دور من الدور العامرة بناها الرومان على سفح جبل ينظر إلى البحر..."² ، أي أخذت منازلها البيضاء ترتفع وتمتد على جنبات الجبل وهي ذات طابق واحد بداخلها أحواض لجمع الماء و خزنه ، و حولها الأشجار لها منظر عجيب على الخليج و البحر على ضفتي النهر و منزهات سكانها وقصورهم و بساينهم التي غرست بالبرتقال و التين و الرمان ...

5.4. أبواب المدينة في العهد الحمادي: تعتبر الأبواب ظاهرة معمارية ارتبطت بأسوار المدن الإسلامية، منذ العهود الإسلامية الأولى، و اتخذت جانبا معماريا اتسم بالقوة و الحصانة. و تعتبر الأبواب وسيلة الاتصال بين العالم الخارجي و داخل المدينة. و كان للأوضاع السياسية و الاقتصادية أثر كبير في تحصين المدن الإسلامية، و تدعيمها بأسوار و أبواب و أبراج و ذلك لتوفير الراحة و الطمأنينة و الأمن للسكان، و انطلاقا من هذا الغرض أصبحت الأبواب من خصائص المنشآت العسكرية، ثم زادت الحاجة إليها، و تعددت أشكالها، و انتشرت في معظم المدن الإسلامية.³

تذكر المصادر أن لبجاية سبعة أبواب معروفة تناولها الغبريني⁴ فذكر منها : باب اللوز ، باب ايلان ، باب البحر ، باب المرسى ، باب الجديد ، باب اميسون ، باب تاطنت ، باب

¹ صاحب كتاب الاستبصار، مؤلف مجهول ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، دار النشر المغربية ، بغداد ، ص 130

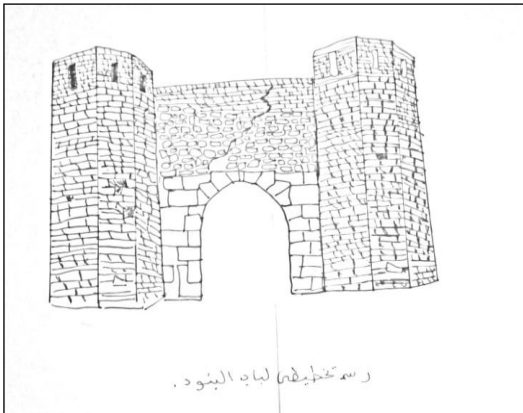
² مرمول كرخال -وصف إفريقي، ترجمة محمد حجي وآخرون ...، مكتبة المعارف الرباط ، ص 376

³ عبد الكريم عزوق ، المرجع السابق ، ص 154

⁴ الغبريني ، المصدر السابق ، ص 7

البنود. معظم هذه الأبواب ولكن لم يبق منها إلا بابان قائمين هما : باب البنود أو باب الفوقة و باب البحر ، وهي تعود إلى العهد الحمادي.

باب البنود : تقع باب الفوقة في الجهة الشمالية الغربية ، وتعتبر المدخل الرئيسي للمدينة والتي تؤدي إلى مقر السلطان ، حيث استقبال القادمين أثناء الاستعراضات ، أو وصول القوافل وأيضا لحضور بعض المراسم و الحفلات¹ ، وهو من بين أقدم الأبواب التي تحرس برج شوف الرياض ، (الصورة رقم)، وطوله 10.40 م، إرتفاعه 4.35 م و عرضه 2.97 م وسمك قاعدته المشكلة من الحجارة تبلغ 0.44 م انظر (الشكل رقم 1). تعرض هذا الباب خلال الفترة الاستعمارية لعدة تغيرات، منها وجود الحجارة الكبيرة المنحوتة وفتح باب جديد إلى جانبها،² (الصورة رقم 4)



شكل رقم 1: رسم تخطيطي

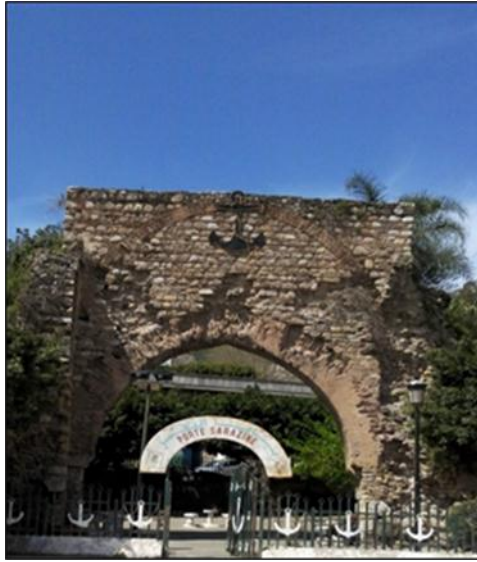
صورة رقم 04: باب البنود

لباب البنود

¹ Debeylie (L) ,La kalaa des bani Hammad une capitale, berbère de l'Afrique du nord , paris , 1909,p106

² -عبد الكريم عزوق ، المرجع السابق ، ص ، 182.

باب البحر: يقع باب البحر في الجزء الجنوبي لل سور المحيط بالمدينة،¹ (الصورة رقم 5)، عرضه 7.60 م، طوله 11.90 م، أما عمقه 4.30 م، قائم على دعامتين حجريتين يبلغ سمك كل واحدة 1.10 م وارتفاعه 2.60 م. يحتوي الباب على عقد مزدوج حذوي من الأجر، يظهر من الخارج مزينا بالأجر بطريقة شعاعية، يبلغ ارتفاعه عن مستوى الأرض بـ 6.80 م، يعلو العقد جدار ثم يليه عقد مدبب من الأجر موضوع على شكل شعاعي ثم يستمر الجدار نحو الأعلى، يتصل باب البحر بجزء من السور الجنوبي الغربي الذي يبلغ طوله 5.04 م كما يتصل بجزء من السور الجنوبي الشرقي البالغ طوله 5.55 م.²



صورة رقم 5: باب البحر

¹-Marçais (G), Alger médiéval , monument et paysage historique , art et metiers

graphique ,paris , p 43 .

²ibid .P.43.

5.5. أسوار المدينة : تشكل الأسوار الإطار العام للمدينة إذ تحيط من جهاتها

الثلاث، أي من الشرق والغرب والجنوب ولو أنها حاليا تظهر بشكل غير منتظم لأنها في

الواقع كانت تمثل دورا دفاعيا للمدينة ، وفتحت بها أبواب ودعمت بأبراج ، ويعود

تاريخ بناء هذه الأسوار إلى عهد الأمير الناصر بن علناس الحمادي وذلك خلال القرن 11م

460هـ -481هـ الموافق لـ : 1067م – 1088م . (صورة رقم 6)

الـسور الجنوبي : تظهر بعض آثاره ، وهو يمتد من حصن عبد القادر شرقا وعلى امتداد

الشاطئ البحر من الجهة الجنوبية ، حيث تفتح باب البحر في منتصف السور ، ويحتل

مواصلة هذا السور الى ان يصل الى القصبة غربا ، السور الشرقي : وهو على الجهة

الشرقية لباب البحر ، وهو عبارة عن أجزاء منفصلة تظهر آثارها في منطقة الزيتون،

السور الغربي : يقع غرب باب البحر ، وهو غير كامل ، تفتح فيه ثلاثة أبواب¹ ، وهذا

السور متقاطع ، نجد آثاره بالقرب من باب البنود يعلوه برج خماسي الأضلاع

¹ Féraud (CH), opcit p45-51 .



صورة رقم 6 : البقايا الأثرية للسور لحمادي

5.6. الأبراج : يحتل برج عبد القادر مكانا استراتيجيا مهما ، كان يحمي قصر اللؤلؤة في العصر الحمادي ، ثم اختاره الاسبان لغلق جدار التحصين من الجهة الشمالية الشرقية للمدينة التاريخية . يذكر حسن الوزان ان بيدرو (pidro) بعد نهب المدينة شيد بسرعة قلعة قرب البحر في موضع ملائم من الشاطئ. (صورة رقم 7) . كما ان فيرود يذكر ان برج عبد القادر عند دخول القوات الفرنسية يحتوي على 20 قطعة من المدافع بإضافة عدد مدفعية برج سي احمد المجاور ، وما يميز هذا البرج انه مشيد على مسطحات تنحدر من الغرب إلى الشرق و إن فتحات المدافع به مكشوفة ، و فتحت بجدار التحصين فتحات

للقناصة تسمح بعرقلة رجال الحملة من النزول الى البر و الاقتراب من المرسى¹ ،
مخطط_ رقم 01)



صورة رقم 7 : برج عبد القادر



على خلاص -القلاع الحصون في الجزائر، مطبعة الديوان، الجزائر، 2008 ، ص 143¹

مخطط رقم 1 : برج عبد القادر عن مديرية الثقافة لولاية بجاية - بتصرف

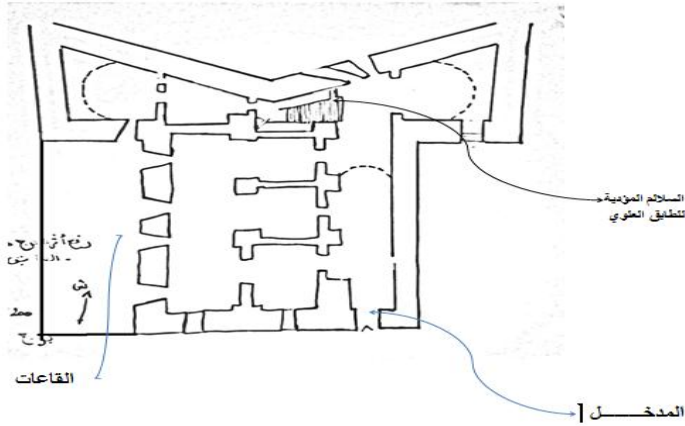
برج موسى :يقع في قمة المدينة العتيقة ، مبنى دفاعي من الآجر و الحجر محاط بأسوار كبيرة السمك حوالي 2 م ، ويذكر بعض المصادر أن برج موسى قد شيد على أنقاض قصر النجمة الموروث عن الفترة الحمادية (481 هـ-498 هـ الموافق ل 1088 م-1105 م) ، الذي تقدر مساحته 1442 م² ، ويفوق ارتفاعه 14.49 م .(الصورة رقم 8) . أما من ناحية الشكل فهو عبارة عن متعدد الأضلاع ينقسم إلى قسمين : القسم المربع في الجهة الجنوبية وقسم في الجهة الشمالية يمثل تقاطع مثلثين ، أما التحصين المربع من الجهة الجنوبية طبيعية ، ومن الناحية الشمالية فهو عبارة عن مثلثين متقابلين متقاطعين حسب التخطيط الذي وضعه اللواء فوبو الإسباني لحصر العدو والقضاء عليه.¹(المخطط رقم 2)



صورة رقم 8 : صورة عامة لبرج موسى

¹ Leduc (V) ;Dictionnaire raisonne de l'architecture française du X^E au XV

sciecle , tom 1, paris , 1858, pp 450-452



مخطط رقم 2 : رفع اثرى للطابق الأرضي لبرج موسى عن مديرية الثقافة لولاية بجاية – بتصرف

● الخاتمة :

من خلال ما سبق ذكره نستخلص ان رغم الحصانة الطبيعية التي تمتعت بها بجاية الا ان الحماديون قاموا بإنشاء سور منيع حولها مدعم بالأبراج المربعة بالإضافة أنهم فتحوا لها سبعة ابواب في كل اتجاه ، ومن المعلوم ان العمارة العسكرية هي العمارة الأولى المستهدفة من طرف الاعداء وهذا لزعة امن واستقرار الاهالي وتخويفهم واخضاعه للاستسلام وهذا باستخدام اسلحة متنوعة تطورت عبر التاريخ

ان الشروط التي يجب ان تتوفر في اي مدينة اسلامية قد روعيت الى ابعد حد في مدينة بجاية بدءاً باختيار الموقع حيث اشترط فيها ان يكون محصناً طبيعياً كونها على هضبة وعرة من الجبل واستدارة بحر مما يجعل النبل منها أصعب.

مقارنة بالأوصاف التي تغني بها الرحالة والجغرافيون عن عمران بجاية في الفترة الاسلامية ، يستدعي اننا نستنتج ان ايادي الاستعمار الاسباني هدمت كل ذلك ، بدليل البقايا الاثرية المتناثرة

وصفها الشاعر القسنطيني المشهور :

دع العراق و بغداد و سامهما فالناصرية ما ان مثلها

بلد

برو بحرو موج للعيون به مسارج بأن عنها الهم و

النكد

حيث الهوى و الهواء الطلق مجتمع حيث الغنى و المنى و العيشة

الرغد

هذه هي بجاية التي زارها الشاعر ايام عهد الموحدين¹

قائمة المراجع :

- ابو عبد الله بن محمد الإدريسي الشريف ، القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس - نزهة المشتاق في اختراق الآفاق - تحقيق و تعليق إسماعيل العربي ، الجزائر 1983 .
- ابو عبد الله محمد بن محمد الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ليدن، 1864 .
- ابو عبید الله البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب جزء من المسالك و الممالك .
- حسني مختار ، موسوعة تاريخ و ثقافة ، المدن الجزائرية ، ج3 ، مدن الشرق ، دار الحكمة ، 2007.
- رشيد بورويبة ، الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها ، الجزائر ، 1977.
- رشيد مصطفىاوي ، " بجاية في عهد الحماديين " مجلة الاصلالة السنة 1 . عدد 1 ، مارس 1971 .
- زينب ليهم ، المساجد الريفية بمنطقة بجاية ، دراسة أثرية معمارية ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الريفية و الصحراوية ، 2010 ، 2011 .
- صاحب كتاب الاستبصار ، مؤلف مجهول ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، دار النشر المغربية ، بغداد .
- صاحب كتاب الاستبصار، نقلا عن إسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 1984
- صالح بن قرية ، تاريخ مدينتي المسيلة و قلعة بنى حماد في العصر الإسلامي ، منشورات الحضارة ، ط 1 - 2009 .

¹ رشيد مصطفىاوي ، " بجاية في عهد الحماديين " مجلة الاصلالة السنة 1 . عدد 1 ، مارس 1971 .

طه خضير عبيد، المدينة الإسلامية : تاريخها تخطيطها و عوامل ازدهارها و انحطاطها ، الطبعة الأولى 2013..، 1434. دار الفكر، عمان ، الأردن .

عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، إهداءات 2002، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، مكتبة الإسكندرية.

عبد الرحمن ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، الجزء 6 دار الفكر للطباعة و النشر، بيروت 2000.

عبد الكريم عزوق ، المعالم الأثرية الإسلامية في بجاية ونواحيها ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، معهد الآثار ، 2007- 2008.

علاوة عمارة ، التطور العمراني و التجاري لمدينة بجاية في العصر الإسلامي الوسيط ، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، العدد 26 ، سبتمبر 2008 .

على خلاص –القلاع الحصون في الجزائر ، مطبعة الديوان، الجزائر ، 2008 .

مارمول كريخال –وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون ... مكتبة المعارف الرباط .

مجموعة من الباحثين : مساهمة الجزائر في الحضارة العربية الإسلامية ، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث ، منشورات المركز الوطني للدراسات .

مراجع اللغة الأجنبية :

Bougie, dans l'encyclopédie de l'Islam , tome I ;paris 1913 , pp 785-786

Camps (G) , Les Civilisation préhistorique de L'Afrique du Nord et du Sahara

,Paris ,1974 ,p.59

Deberuge, Bulletin Archéologique de la société de Sousse, 1904, 2^{ème}, N°4 ,p170.

Debeylie (L) ,La kalaa des bani Hammad une capitale, berbère de l'Afrique du nord , paris , 1909,p106

Féraud , , "Notes sur Bougie" ,in Revue Africaine , volume 3 , 1858 ,p 45-51 .

Féraud , "Notes sur Bougie" ,in Revue Africaine , volume 2 , 1857,, Alger ,p 459- 465

Gaid (M) ;Histoire de Bejaia et de sa région depuis l'antiquité jusqu'à 1954,

édition Mimouni Boumerdes ,1991,p51

Gsell.(ST);Atlas Archéologique de l'Algérie, feuille N°7 .T 2 , 2^{ème} Edition –Alger 1997,p12

Leduc (V) ;Dictionnaire raisonne de l'architecture française du X^E au XV siècle ,
tom 1, paris , 1858, pp 450-452

Marçais (G), Alger médiéval , monument et paysage historique , art et métiers graphique-
